محاضرة رقم: 06.

سادساً: موضوع أخلاقيات البيولوجيا

لقد ارتبط ظهور البيواتيفا بما يتعرض له المرضى وأشخاص آخرون، تحت طائلة التجارب الطبية، كما أسلفنا الذكر، وهذا يكون الدافع الأول لبروزها. أما الدافع الثاني فهو يتعلق بالاهتمامات والتساؤلات الجديدة التي يطرحها التطور الطبي لموضوع البيواتيقا، بسبب عالميتها وطابعها الشمولي مما أثار جدلا كبيرا حول المواضيع التي تتناولها ولكن هناك مواضيع حولها إجماع من طرف اغلب الباحثين وقد قسمها الباحث الكندي جي ديوران إلى ثلاثة أقسام:

1- النواة المركزية: وتتضمن المشاكل الأخلاقية التي تثيرها المواضيع التالية؛ كالإجهاض الذي يعتبر من المسائل التي تثير نقاشاً أخلاقياً واسعاً، تلجأ إليه المرأة نتيجة رغبة الزوجين مثلاً في انجاب ذكر، وبالتالي يعمل الزوجين على إجهاض أجنة البنات أو العكس، أو قد يكون لأجل تحديد النسل[1]. قد يكون هذا التصرف لمصلحة الأهل لتحاشي خطر وجود أمراض وراثية، ضف إلى ذلك التشخيص ما قبل الزرع، باستطاعته التنبؤ بامكانية حدوث اجهاض في حالة الزرع، وهذا من خلال التوصية بأن خلايا المنشأة من خارج الجسم قد لا تكون سليمة، وقد ترفض[2].

---

[1]- أحمد عبد الحليم عطية، قراءة في الأخلاقيات الراهنة، دار الثقافة العربية، القاهرة، (د.ط)، 2010م، ص192.

[2]- يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو رسالة ليبرالية، تر: جورج كتورة الهاشم، المكتبة الشرقية، ط1، 2006م، ص26.

بالإضافة إلى الإجهاض، ثمة الإخصاب الصناعي، الإخصاب لا يكون عن طريق الممارسة الجنسية المباشرة بين الزوجين، وإنما بحقن السائل المنوي بطريقة اصطناعية بواسطة المحقن المخصص لذلك. والاستنساخ، وعمليات التحويل الجنسي، التبرع بالأعضاء البشرية، والقتل الرحيم أو الموت الرحيم، كما يطلق عليه بتسميات أخرى، فهو الذي يُلجأ إليه بغرض توفير وفاة سهلة، وخالية من الألم[1]، بالنسبة للأشخاص الميؤوس شفاؤهم.

2- مواضيع لصيقة بالنواة المركزية: أهم مواضيعها هي منع الحمل لغاية التحكم في الولادات أو تنظيم النسل قصد التحكم في ظاهرة النمو الديمغرافي، إضافة إلى الحروب، والأبحاث التي تدور حول الأسلحة البيولوجية، الأبحاث التي تجري على الحيوانات علم البيئة[2]، ومسألة التعذيب، وأحكام الإعدام.

3- مواضيع قريبة: يسعى الباحثون إلى توسيع مجالات البيواتيقا، فتجدهم يُدرجون في إطارها مواضيع ترتبط بالتفكير الأخلاقي وعلاقته بالممارسة الطبية، صور الصحة والمرض، دلالات الجسم البشري، علاقة الأخلاق بالقانون وحقوق الإنسان، علاقة الأخلاقيات بالعلم والتكنولوجيا.

4- مواضيع ثلاثية الأبعاد: تهتم البيواتيقا بالحالات الشخصية، ما يتعلق بحال المريض وقراره الشخصي، والمتدخلين من أقربائه مثلا في حالات صحية خطيرة، ما يتعلق بالحوار الذي يجري بين هذه الأطراف والقرار المتوصل إليه مثلاً. كذلك تهتم بتفكير

---

[1]- جوليان باجيني، الفلسفة موضوعات مفتاحية (المعرفة، الأخلاق، العقل، الدين، السياسة)، تر: أديب يوسف شيش، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 2010م، ص30.

[2]- عمر بوفتاس، البيواتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، إفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2011م، ص26.

وتأمل الباحث في المواضيع الدقيقة المحتملة البحث، فالبيواتيقا تمنح نفس العناية لتأثير هذه القرارات على المجتمع، وتأثير هذا الأخير على قرارات الأشخاص، البيواتيقا تهم بالتوازن بين الحقوق والهيئات الاجتماعية والقانونية التي يستلزم تأسيسها، هي باختصار تهتم بالشروط البنيوية لترقية الأفراد والمجتمعات، والإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي للقرارات الفردية، وهذا هو مجال الميكرو-أخلاقيات[3].

سابعاً: مجال أخلاقيات بيولوجية

ترتبط بميدان علوم الحياة وما يطرحه، بعد تبلور ما يعرف بتكنولوجيا الحياة *Biotechnologies*، من تساؤلات تتعلق ب ـ(الإنجاب الاصطناعي) من شاكلة: هل يتم الإنجاب دون جنس مثلما يتم الجنس دون إنجاب (يتم الحديث عن تقنيات الإنجاب السلبية والإيجابية)؟، هل يمكن تعمد إنجاب اليتامى في حالة تخصيب الزوجة بمني زوجها بعد وفاته (إعادة النظر في عوائد ومفاهيم درج عليه البشر لآلاف السنين مثل مفهوم العائلة، ومفهوم الأمومة، ومفهوم البنوة، ومفهوم الهوية البيولوجية)، أو بـ (الموت الرحيم) من قبيل؛ هل يُقبل الأطباء على انتزاع أجهزة التنفس والتغذية الاصطناعية عن المرضى الذين يعانون من غيبوبة طويلة الأمد رحمة بهم أم يواصلون إبقاءهم أحياء بشكل اصطناعي رغم عدم جدوى حياتهم؟؛ أي ما أصبح يعرف بـ (الإصرار على مواصلة العلاج)؟

إذن تناولت رقعة واسعة من تساؤل الإنسان، والتي تتراوح من المناقشات حول حدود الحياة (مثل الإجهاض، والقتل الرحيم) إلى تخصيص موارد الرعاية الصحية

---

[3]- عمر بوفتاس، البيواتيقا نحو فكر أخلاقي جديد، دفاتر فلسفية، نصوص مختارة، إعداد وترجمة: عبد السلام بنعبد العالي ومحمد سبيلا، دار توبقال للنشر، المغرب، العدد 9، سنة 2015م، ص5، 6.

الشحيحة (مثل التبرع بالأعضاء، ترشيد الرعاية الصحية) إلى الحق في رفض الرعاية الطبية لأسباب دينية أو ثقافية. علماء الأخلاقيات البيولوجية كثيرا ما يختلفون فيما بينهم على الحدود الدقيقة لهذا التخصص، متجادلين ما إذا كان هذا المجال يجب أن يهتم بالتقييم الأخلاقي لجميع المسائل التي تنطوي على البيولوجيا والطب، أو مجرد مجموعة فرعية من هذه الأسئلة.

بعض علماء الأخلاقيات البيولوجية يضيقوا التقييم الأخلاقي فقط إلى أخلاقية العلاجات الطبية أو الابتكارات التكنولوجية، وتوقيت العلاج الطبي للبشر، وآخرين يوسعون نطاق التقييم الأخلاقي ليشمل أخلاقية جميع الإجراءات التي قد تساعد أو تضر الكائنات الحية القادرة على شعور الخوف والألم، وتشمل داخل أخلاقيات بيولوجية جميع هذه الأعمال من احتمال في ما يتعلق بالطب والبيولوجيا، ومع ذلك، فإن معظم علماء الأخلاقيات البيولوجية يشتركوا في الالتزام بمناقشة هذه القضايا المعقدة بطريقة صادقة، متحضرة وذكية، باستخدام أدوات من تخصصات مختلفة كثيرة التي "تغذي" المجال لإنتاج أطر ذات مغزى للتحليل.

إلى جانب اهتمامه بالمبادئ التي يلزم أن توجه الممارسة في ميادين الطب والبيولوجيا؛ يهتم الفكر البيواتيقي بالمشاكل الأخلاقية التي تطرحها هذه الممارسة، وبالتالي بالحلول التي يجب البحث عنها لتجاوز تلك المشاكل، والتعارض الحاصل بين الأطراف المعنية بها، وتتوزع تلك المشاكل بين ميادين الطب والعلاج من جهة، وميادين البيولوجيا والهندسة الوراثية من جهة ثانية.

في ميادين الطب، تطرح أولا المشاكل المتعلقة بالتجارب الطبية والدوائية، وتتمحور حول مشكل (الموافقة الواعية)، وحول جملة من التعارضات أهمها: التعارض بين مبدأ (الموافقة الواعية)، ومبدأ (احترام الأشخاص) من جهة، وبين مبدأي العدالة والإحسان من جهة ثانية. غير أن التجارب على البشر تحمل إضافة إلى ذلك دلالة متميزة، نظرا لكونها موضوعا رئيسيا لمحاكمات نورنبرغ من جهة، ولأنها من جهة ثانية، كانت منطلقا لانبعاث الفكر الأخلاقي في الولايات المتحدة الأمريكية أواخر الستينات من القرن الماضي في إطار الممارسة الطبية والبيولوجية، أما بالنسبة لقضية زرع الأعضاء، فتطرح المشاكل المتعلقة بالمانحين والمستفيدين، وخاصة منها ما يرتبط بندرة الأعضاء القابلة للزرع، مما يقود إلى مشكل الاتجار بالأعضاء وتعريض الإنسان للاستغلال والامتهان.

لذلك، هناك سعي عالمي لحماية المتبرعين بالأعضاء من الأحياء والأموات، من خلال سن مجموعة من القوانين تستند إلى مبادئ الموافقة الواعية وسرية المتبرعين ومجانية الأعضاء وبطاقة المتبرع. أما مشاكل (طب الاحتضار) فترتبط بالخصوص بمعاناة المتقدمين في السن مع أمراض الشيخوخة ونبذ المحيط، وبما يقاسيه ضحايا الحوادث الخطيرة من جراء إصرار الأطباء على مواصلة علاجهم مهما كلف الثمن، وأخيرا ما يرتبط في إطار (الموت الرحيم) بمطالب من يعانون من مخلفات المراحل النهائية لبعض الأمراض الخطيرة كالسيدا والسرطان، حيث يلحون على وضع حد لمعاناتهم واستفادتهم بالتالي مما أصبح يعرف بـ (الحق في الموت بكرامة)، وما يقابل هذا الحل من مطالبة البعض باستبدال الموت الرحيم الذي يعتبرونه قتلا مقنعا أو انتحارا طبيا، بمرافقة المحتضرين ومواساتهم وتسكين آلامهم.

إضافة لهذه النقاط التي ذكرناها نشير إلى نماذج أخرى من اهتمامات الأخلاق البيولوجية؛

1- الجهاز العصبي

بالنسبة للجهاز العصبي، أصبحت (علوم الجهاز العصبي)، بعدما فتحت باب الأمل لعلاج أمراضه، تطرح مشاكل أخلاقية ترتبط بمحاولات التحكم في الجهاز العصبي، وظهر بالخصوص تخوف من التحكم في عقل الإنسان وتفكيره سواء كفرد أو كجماعة. وتطرح محاولات التحكم في الجهاز العصبي بواسطة الجراحة وزرع الأنسجة والخلايا الجذعية، مشاكل أخلاقية ترتبط بتغيير شخصية الإنسان والنيل من كرامته وانتهاك حقوق الأجنة، أما التحكم في الجهاز العصبي بواسطة العقاقير، فيثير تخوفا خاصا من السعي لتغيير تفكير الأفراد أو إخضاع المجتمعات للتخدير وتحويلها إلى آلات بشرية منصاعة كليا.

ويطرح (موت الدماغ) مشكل التوافق حول قبوله كمعيار لوقوع الموت، وتحديد متى يحصل؛ هل بموت الدماغ ككل أم بموت الدماغ العلوي رغم استمرار جذع الدماغ في أداء وظائفه؛ ومشكل الحسم في ماهية الطبيعة الإنسانية وهل تتعلق بالجانب الجسمي أم بالجانب النفسي أم بهما معا؟.

وأخيرا تطرح (الحالة النباتية) مشكل التمييز بين الغيبوبة القصيرة الأمد والطويلة الأمد التي وصلت إلى نقطة اللارجوع، ومشكل مدى مشروعية نزع الوسائل الاصطناعية الداعمة، وأخيرا مشكل قيمة الحياة وهل نقدر الحياة النوعية فقط أم أن الحياة في جميع أشكالها تتطلب منا التقدير والاحترام؟، عموما تستلزم قواعد الأخلاق

الجديدة التصرف في الجهاز العصبي وفق مبدأ الموافقة الواعية، وتحقق الثقة اللازمة بين الطبيب والمريض، والامتناع عن كل ما يهدد بانتهاك الكرامة الإنسانية أو بإحداث التغيير في الطبيعة الإنسانية.

2- الانجاب الاصطناعي

بالنسبة للمشاكل التي تطرحها محاولات التحكم في الإنجاب، مع التأكيد على النتائج الإيجابية الكثيرة التي تحققت في هذا الميدان، سواء على مستوى تنظيم النسل حيث نجح الكثيرون في المباعدة بين الولادات وما لذلك من انعكاسات إيجابية على صحة الأم وتربية الأبناء وتراجع نسبة النمو الديمغرافي، أو على مستوى الإنجاب الاصطناعي حيث تم التغلب بنسبة لا يُستهان بها على معضلة العقم؛ سنكتفي بإشارة موجزة إلى أهم تلك المشاكل حسب القضايا التي ترتبط بها، فتنظيم النسل يطرح مشاكل ترتبط بحريات الأفراد وخاصة حين يندرج في إطار مشاريع الدولة، وما يمكن أن يرتبط بها من أهداف ذات علاقة "بتحسين النسل؛ أما الإجهاض فيطرح مشاكل تتعلق بوضعية الجنين ومتى يكتسب صفة "الشخص"، وتعارض حقوق الجنين مع حقوق الأم، وتعارض حقوقهما معا مع حقوق المجتمع؛ ويطرح الإجهاض الانتقائي مشاكل إضافية تتعلق بالميز الجنسي.

تعتمد التكنولوجيا البيولوجية على علم الأجنة والتكنولوجيا التناسلية، وتمثل سلسلة من التقنيات التي يتم من خلالها دعم التناسل الحيواني أو تعديله، ثم تطوير هذه التقنية إلى حد كبير لغايات زراعية، وتتضمن التلقيح الاصطناعي والتخصيب المختبري..، للتحكم في الأجنة أو الخلايا التناسلية المنتجة لها. سنة 1978م ولد أول طفل أنبوب،

وما زالت تضاف التقنيات إلى عيادات الإنجاب لمساعدة النساء على الحمل[1]. يطرح الإنجاب الاصطناعي مشاكل أخلاقية أخرى تتعلق بعدة مسائل منها مسألة التلقيح الاصطناعي وخاصة في حالة اللجوء إلى طرف ثالث متبرع بالمني، مما يطرح مشكل هوية الطفل وحقه في التعرف على والده البيولوجي؛ ومسألة الإخصاب خارج الرحم وما يطرحه من مشاكل تتعلق بانطلاق عملية "تصنيع الإنسان" والسعي لتغيير طرق الإنجاب الطبيعية؛ وبنوك المني وما تطرحه من مشاكل الاتجار في عناصر الجسم البشري وخاصة بعد الترويج لما عرف ببنوك مني العباقرة؛ ومسألة بنوك الأجنة وما تطرحه من مشاكل شروط حفظها، ومدى مشروعية التخلص من الأجنة الفائضة، ومشكل إنتاج أجنة بشرية خصيصا للبحث العلمي، وما يطرحه ذلك من تعارض مع مبدأ كرامة الإنسان؛ وأخيرا مسألة استئجار الأرحام وما تطرحه من مشاكل تتعلق بامتهان إحدى الوظائف الإنسانية الأساسية التي تؤديها المرأة وهي وظيفة الأمومة، إضافة إلى تشييء الأم الحاضنة والطفل معا والابتزاز المادي الذي يحتمل أن يتعرض له الزوجان من طرف الأم الحاضنة، وما يمكن أن يتعرض له الطفل سواء من طرف الأم الحاضنة أو من طرف الأم الاجتماعية من إهمال في حالة إصابته بتشوه أو مرض وراثي خطير.

3- الهندسة الوراثية

أ- معنى الهندسة الوراثية

[1]- رونالد كول تورنر، التكنولوجيا البيولوجية (حيث يصبح الإنسان أدنى إلى شيء غير ذي قيمة)، الاستغراب، المرجع السابق، ص126.

لا نستطيع استيعاب مفهوم الهندسة الوراثية إلا إذا استحضرنا الخلية، خصوصا نواتها حيث يوجد (*DNA*)، ولا بأس أن أذكر بأن هذا الأخير يتألف من شريطين أو جديلتين ملتفتين فيما بينهما، تتكون كل جديلة من جديلتي جزيء (*DNA*) البشري من تتابع مستمر طولي يتألف من ثلاثة بلايين وحدة بناء يسمى كل منها نكليوتيدة (نوتيدة)[1]. والقواعد: أدنين *Adénine* ، جوانين *Guanine*، سيتوزين *Cytosine*، الثايمين *Thymine*، في (*DNA*)، وأدنين، جوانين، سيتوزين، يوراسيل *Uracile*، في (*RNA*)، ترتيبها الخاص في حلقة (*DNA*)، هو الذي يحدد الصفات الوراثية لأي شخص[1].

أما الجين، هو تتابع مرتب من هذه النوتيدات (النكليوتيدات) ويوجد في موقع معين على كروموزوم معين[2]. و(*DNA*)، وهو بيت القصيد، ليس إلا ما ينتقل من جيل إلى الجيل الذي يليه، وهذا هو السبب في أن يطلق اسم المادة الوراثية على جزيء (*DNA*)، وتكامل الجديلتين يشكل الأساس في نقل المعلومات الوراثية.

---

[1]- النكليوتيدة أو النوتيدة*Nucléotide* : هي وحدة فرعية من(*DNA*)، أو (*RNA*)، تتألف من قاعدة نتروجينية (أدنين، جوانين، ثا يمين، سايتوسين) في(*DNA*)، و(أدنين، جوانين، يوراسيل أو سيتوزين في(*RNA+*)، جزيء فوسفات*K* وجزيء سكر (ديوكسي ريبوز في (*DNA*)، وريبوز في (*RNA*)، ترتبط ألاف النوتيدات لتشكل جزيئات (*DNA*) و(*RNA*). (أنظر أيضاً: شارل أوفراي، ما الجينات؟، تر: عبد الهادي الإدريسي، مراجعة: فريد الزاهي، كلمة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2012م، ص21).

[1]- فيليب فروسارد، الهندسة الوراثية وأمراض الإنسان، تر: أحمد مستجير، مركز النشر لجامعة القاهرة، 1994م، ص35.

[2]- دانييل كيفلس وليروي هود، الشفرة الوراثية للإنسان، القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، تر: أحمد مستجير، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 217، 1997م، ص40.

أما الجينوم فهو المادة الوراثية في كروموزومات كائن حي، سواء كان هذا الأخير إنسانا، أو حيوانا، أو نباتا، ونجد عند الإنسان على سبيل المثال ثلاثة ملايير من أزواج القواعد[3].

ب- الهندسة الوراثية بين الإيجاب والسلب

تتميز المشاكل الأخلاقية التي تطرحها تقنيات وقضايا الهندسة الوراثية بشدة خطورتها وإثارتها للكثير من الجدال والخلاف: هناك أولا مسألة الجينوم البشري، فإلى جانب ما تعد به من آمال واسعة في إطار تحقيق معرفة أحسن بالإنسان، وبالأمراض الخطيرة التي تهدده والجينات المسؤولة عنها، مما سيسهل إعداد الأدوية الناجعة لها" اكتشاف بُنية *DNA* سنة 1953م، هو إحدى الخطوات الأساسية في رواية بيولوجيا الجزئيات، خلال عقدين، فتح هذا الاكتشاف المجال أمام معرفة ما يسمى بالأبجدية الجينية أو رمز الأسس الكيميائية التي تحمل المعلومات الوراثية، وفتح الطريق أمام فهم العلاقة بين ذلك الرمز والبروتينات الناتجة عنه، واكتساب القدرة على تعديل هذه البنى والعمليات (الهندسة الوراثية)"[1]؛ لكن هناك أيضا المشاكل التي يطرحها فك أسرار الوراثة البشرية والمخاوف التي يثيرها التصرف فيها، ومنها مشكل (التنبؤ الوراثي)، وإمكانية أن يعرف الإنسان مستقبله الصحي سلفا، وما يمكن أن تسببه له تلك المعرفة من اضطراب في حياته خاصة إذا علم أنه سيصاب بمرض خطير في وقت محدد دون أن تتوفر إمكانية علاجه، إضافة إلى ما يمكن أن تتعرض له المعلومات الوراثية الخاصة بالأفراد من عمليات القرصنة والاستغلال من طرف شركات التأمين ومكاتب التشغيل

---

[3]- المرجع نفسه، ص402.

[1]- رونالد كول تورنر، المرجع السابق، ص126. أنظر أيضاً: شارل أوفراي، ما الجينات؟، مرجع سابق، ص26.

التي يمكن أن تمارس بناء عليها عنصرية من نوع جديد وإقصاء للمهددين بالإصابة بالأمراض الوراثية الخطيرة من الاستفادة من التأمين والشغل والضمان الاجتماعي، ومن المشاكل المطروحة أيضا ما يتعلق بقراءة جينوم الأجنة من إمكانية تزايد إجهاض الأجنة ولو لأتفه الأسباب.

مع ما ينتظره منها البعض من توفير مخزون احتياطي للأعضاء والأنسجة والخلايا البديلة وعلاج للأمراض الوراثية وقضاء نهائي على العقم وفتح صفحة جديدة في إطار الوجود البشري تجعل الإنسان يتطلع إلى تحقيق حلمه القديم في الخلود.

4- الاستنساخ البشري

أ- تعريف الاستنساخ

أ/1- لغة: الاستنساخ من نسخ- نسخاً للشئ، يعني أزاله أو أبطله[2].

النسخ هو إبطال الشيء وإقامة مقامه أخر، كما جاء في الآية الكريمة: 106من سورة البقرة﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

تفيد الكلمة أيضاً معنى النقل، كان نقول: نسخ الكتاب يعني نقله، استنسخ بمعنى طلب نسخة من الشيء[1].

لهذا فإن توظيف الكلمة في المجال البيولوجي، يستحسن استبدالها بكلمة؛ استنسال، كي تؤدي المعنى المراد.

أ/2- اصطلاحاً: تستخدم الكلمة نسيله *Clone* في عدد من الأطر المختلفة في البحث البيولوجي، لكنها في معناها الأكثر بساطة ودقة، تشير إلى نسخة وراثية لجزئ، أو خلية،

---

[2] - المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط41، 2005م، ص805.

[1] - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

أو نبات، أو حيوان، أو كائن بشري، وفي بعض هذه السياقات، تشير كلمة استنساخ *Cloning*، إلى تقنيات معينة، لمدة طويلة من الزمن جزءاً من المهنة الزراعية، وتشكل اليوم جزءاً هاماً من أسس البحث البيولوجي الحديث[2].

كذلك هو تكوين كائن حي كنسخة مطابقة تماماً من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائن حي آخر[3]، بمعنى أوضح هو إيجاد نسخة مطابقة عن شيء ما من الكائنات الحية نباتاً، أو حيواناً، أو إنساناً.

والاستنساخ عموماً هو عملية يتم القيام بها عن طريق التدخل اليدوي البيولوجي في جزئيات متشابهة، أو في خلايا كائنات واحدة الخلية، أي في الميراث الجيني لها، واستنساخ المورثات هو مجموع المناهج البيولوجية التي تمكن من التدخل اليدوي في المورثات وكذا عزلها.

ب- معضلة الاستنساخ

تطرح مسألة الاستنساخ البشري بدورها مشاكل متعددة غير مسبوقة تتمحور حول طبيعة الإنسان ومستقبل وجوده وما يمكن أن ينجم عن تحقيق ذلك من مضار وانعكاسات سلبية، سواء على الأفراد المستنسخين الذين سيعانون من مشكل الشيخوخة المبكرة الذي تسبب في موت(النعجة دوللي قبل الأوان)، ومن الحرمان من عائلة حقيقية وهوية مميزة، ومن الحيرة في تحديد نوع العلاقة التي تربطهم سواء بالأصول أو بالفروع أو بالأقارب، وعلى المجتمعات التي ستضطر في حالة تزايد أعداد المستنسخين

---

(2) - نرتاس نيو سياوم وكاس ر.سونشتاين، الاستنساخ ما له وما عليه، تر: أحمد رمو، منشورات دار علاء الدين، سوريا، (د.ط)، 2001م، ص15.

(3) - فضل الله حسين، وآخرون، الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط1، 1997م، ص20.

إلى إعادة النظر فيما درجت عليه لقرون من أنظمة القرابة والإرث والزواج وغيرها، وعلى البشرية ككل حيث يرى بعض الباحثين أن تحقيق الاستنساخ البشري على نطاق واسع يهدد الأجيال القادمة بالفقر البيولوجي كما يهددها بالانقراض بناء على تشجيعه لفصل الإنجاب على الجنس وبالتالي للتحكم الكامل في الجينوم البشري وتحويل الإنسان إلى كائن مصنوع سيفقد الخصائص البشرية بالتدريج.

بعلاقة بكل القضايا والمشاكل السالفة الذكر، يطرح (تحسين السلالة البشرية) المشاكل المركزية للفكر الأخلاقي الجديد" ينظر العديد من الناس إلى فكرة التعديل الوراثي للخط الجنسي بخوف ومعارضة، ويعود ذلك عادة لأسباب دينية. في أوروبا، يرفض عموما التعديل الوراثي للخط الجنسي باعتباره انتهاكاً للحقوق البشرية للأجيال الآتية خصوصاً الحق في امتلاك جينوم غير متأثر بالتكنولوجيا"[1]، فبالإضافة إلى ما يمارسه موضوع تحسين النسل من إغراء للإنسان العادي وإغواء للأطباء والباحثين، تعتبر كل تقنيات الطب والبيولوجيا والهندسة الوراثية أدوات محتملة لممارسة تحسين النسل، وإذا كانت أصول نزعة تحسين النسل ترجع إلى عهود سابقة وخاصة أواخر القرن التاسع عشر بتضافر عدة عوامل منها تدهور الحالة الاجتماعية والصحية لكثير من المدن الصناعية الأوروبية إضافة إلى تبلور النزعة العنصرية وعلم الوراثة والداروينية الاجتماعية، وارتبط بخطط وإجراءات عنصرية تشرف عليها أنظمة شمولية بمبررات التطهير العرقي أو أنظمة ديمقراطية بمبررات تحقيق الرفاه، فإن هذه النزعة انبعثت من جديد في غمار ثورة الطب والبيولوجيا متمثلة بالخصوص في تقنيات الهندسة الوراثية، ورفعت شعار التطهير الوراثي بدل شعار التطهير العرقي، وأصبحت حسب الباحث الفرنسي المتخصص في الإنجاب الاصطناعي (جاك تيستار) تؤدي مهمتها بصمت

---

[1]- رونالد كول تورنر، المرجع السابق، ص132.

واعتمادا على مبررات يقبلها الجميع أهمها السعي للقضاء على الأمراض الوراثية وتحقيق صحة جيدة للأفراد وتقدم وازدهار للمجتمعات.

بسبب ذلك استقطب موضوع تحسين النسل عدة فعاليات علمية وفلسفية ودار حوله نقاش حاد بين نزعتين، تدافع إحداهما عن التقدم العلمي والتكنولوجي مؤكدة أن علوم الحياة لا يمكن فصلها عن تحسين النسل، وتدافع الأخرى عن حقوق الإنسان وكرامته وتؤكد أن الانسياق مع أهداف دعاة تحسين النسل وتعريض البشرية للمخاطر ليس مأمون العواقب.

الوعي بالمخاطر التي يمكن أن تنجم عن تكنولوجيا الحياة والنزاع بين من يؤكد على أولوية دعم تقدم العلوم والتقنيات في ميادين الطب والبيولوجيا، وبين من يدافع عن أولوية دعم الكرامة الإنسانية والحفاظ على طبيعة الإنسان وضمان استمراره في الوجود؛ هذا كله أدى إلى سعي حثيث لتقنين هذا الميدان وتنظيمه محليا ودوليا بناء على مبادئ حقوق الإنسان.

ثامناً: الرهان الفسلفي ومستقبل الأخلاقيات البيولوجية

تطرح أخلاقيات الطب والبيولوجيا رهانات متعددة؛ أخلاقية، وحقوقية قانونية، وفلسفية، فالفلاسفة يوجدون في طليعة المهتمين بالفكر البيوإتيقي، لأن البيوإتيقا تفكير فلسفي أيضا في المشاكل الأخلاقية الناجمة عن الأبحاث والدراسات المعاصرة في ميادين علوم الحياة، ولأن آراء الفلاسفة وطرقهم في التفكير ومفاهيمهم كانت من ضمن الأدوات التي استعان بها الفكر الأخلاقي الجديد لتحليل ومعالجة تلك المشاكل؛

كما أن ممارسات الأطباء والباحثين كثيرا ما تستدعي التأمل الفلسفي في مواضيع موت الإنسان وحياته ووجوده وطبيعته ومصيره...الخ.

لا يوجد سبب للاعتقاد بأن التكنولوجيا البيولوجية قد وصلت إلى حدود قوتها، بل على العكس فإنها تنمو لا فقط في نطاق تطبيقاتها بل أيضاً في قوة تقنياتها ومداها. تستطيع التكنولوجيا البيولوجية الوصول إلى الجينوم الكامل للبشر والأجناس الأخرى، وهذا يعني أنه يمكن مراقبة النشاط الديناميكي والتفاعل بين مجموعة تامة من الجينات[1]. فهذه الاكتشافات العلمية لا ينبغي النظر إليها على أنها سلبية دائماً، بقدر ما تساعد على فهم البنية البشرية والعمل على تجاوز أزماته البيولوجية.

إن التطور الحاصل في العلوم الحياتية عامة يمنح البشرية قوةً جديدة لتحسين صحتها ومراقبة الأنظمة التنموية الخاصة بكافة الكائنات الحية.

تاسعاً: مهام الفكر الأخلاقي الجديد

لم ينحصر دور الفلاسفة اليوم في إمداد الفكر الأخلاقي الجديد بأدوات اشتغاله وتأمله في المعضلات التي تطرحها الممارسة الطبية والبيولوجية، بل ساهموا في إغناء الحوار الذي يدور في ميادين علوم الحياة، بين تيارات ونزعات يمكن أن نقدم كنموذج؛ الحوار الذي يدور بين النزعة العقلانية الإنسانية الجديدة (الكانطية الجديدة)، والنزعة العلماوية أو البيوكونية الجديدة، حوار يجري حول الطبيعة الإنسانية، وما يمكن أن يلحقها من تغيير، ومصير الجنس البشري الذي ترى في شأنه النزعة الأولى أنه مهدد بالانقراض، ولهذا يجب إخضاع البحوث العلمية لقواعد أخلاقية، وقانونية، تقوم على

---

[1] رونالد كول تورنر، المرجع السابق، ص133.

أساس مبادئ حقوق الإنسان، وترى النزعة الثانية أننا لا نسير في اتجاه الانقراض، بل نقترب بفضل الثورة الطبية والبيولوجية من مرحلة تطور نوعية، وهي مرحلة تحقق ذلك الإنسان الذي نادى به بعض الفلاسفة أمثال فريدريك نيتشه (الإنسان الأعلى)، له قدرات بيولوجية وعقلية تتجاوز تلك التي يتوفر عليها الإنسان حالياً.

تفضل النزعة العقلية التحلي بالحيطة والحذر، مؤكدةً أننا إذا لم نتخذ الاحتياطات اللازمة، ولم نُلجم العلم والتقنية بلجام القانون والأخلاق وحقوق الإنسان، وتركنا لعلماء الهندسة الوراثية حرية تعديل الخصائص الوراثية للجنس البشري، في حدود الغاية العلاجية لبعض الأمراض التي يعاني منها الإنسان. غير أن هذه التطورات قد تقودنا إلى مصير مجهول.